

الإسلام والتجديد

د/ سعد خلف عبد الوهاب
أستاذ مساعد عقيدة وفلسفة جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات
سوهاج- مصر

المقدمة

التجديد سنة الحياة، والحياة بطبيعتها في حركة دائمة، ومتجددة، وحياة الإنسان بصفة خاصة تخضع دوماً لحركة التجديد والتغيير، ولكنها في الوقت نفسه محكومة بإرادة الإنسان وعقله وتفكيره.

والإنسان ليس آلة جامدة، وإنما عقل مفكر، له حرية واختيار، ذو دور إيجابي في حركة الحياة التي خلقت لأجله.

ونظراً؛ لأن حركة الحياة لا تقف عن الدوران، دوماً متجددة، حتى خلايا الإنسان نفسه تتجدد بصفة مستمرة، وهذا يدل على أن التجديد سنة الحياة، ومن غيره تصاب الأمة بالجمود والتخلف.

والإسلام بطبيعته دين متسق مع سنن الحياة، لا يصادم الفطرة الإنسانية، لأنه دين الفطرة والإنسانية بفطرتها تميل إلى التجديد المستمر لحركة الحياة، وصولاً إلى الأفضل في جميع المجالات.

فمنهج الإسلام منهج متطور، متجدد، قابل للتفاعل، والالتقاء مع كل حضارة، وثقافة، مرن نابض بالحياة يساير كل أجناس البشر، جامع لهم في بوتقة الإنسانية. ^(١)

والفكر الإسلامي فكر متجدد متطور باستمرار والتجديد فيه سنة متبعة، جاءت الدعوة إليه جلية واضحة وصریحة، في حديث النبي ﷺ "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة عام من يجدد لها دينها" ^(٢)

والإسلام في تعاليمه يعد ديناً للحياة بكل أبعادها، وفي كل جوانبها، فهو في

جوهره يحمل بذور القدرة على تقبل الحضارات ،والجري في أفق التطور، لذلك كان من دعائمه:.

١- الحرية .

٢-القوة.

٣-الوحدة .

٤-المثل العليا .

فقد حملت اليقظة الفكرية الإسلامية هذه العناصر، مؤكدة إياها أنها حقائق أساسية ، تمس كرامة الإنسان وحريته، والجمع بين حياته الروحية والمادية، والعمل لليوم والغد معاً، وتقديم البراهين العقلية في كل قضية.

وإطلاق سيادة مبدأ حرية العقل، وحفظه من الآثار السلبية والمعنوية، وحفظ التراث من الاندثار والضياع، وتحديد الفكر بالغربة، وإقصاء القشور والاجتهاد، والموائمة مع الزمن والبيئة.

فالإسلام يحمل في طياته مهمة إنسانية للبشرية عامة، رابطاً إياها برباط الأخوة، منادياً بتوطيد المحبة، والألفة بين المجتمع البشري، ليث قواعداً للعدل بين أفرادها، وإعلان روح التسامح في كل شيء يتصل بالكيان البشري.

وثبت على مر التاريخ، أن الإسلام دين لا يعاد الأديان، ولا الطوائف، وإنما يحاورها فيما ينفعها بالحكمة، والموعظة الحسنة.

و يدعو الأمة إلى الوحدة وينهاها عن التفرق والتنازع، من أجل بناء كيانها وحماية أوطانها..

كما يدعو الإسلام أفراد هذه الأمة وجماعاتها، أن يتسلحوا بالعلم والعمل، وأن يكونوا في يقظة لمن يترصد بهم الدوائر.

كذلك يدعو الأمة أن تدافع عن دينها ووطنها ، وأن تدفع بالتي هي أحسن وأن تؤثر السلام على الحرب ،والمحبة على العداوة ، والإخوة على الغنصرية، والعدل على الظلم، والتسامح على التعصب.

ومن هنا نشط علماء الإسلام ومفكروه في العمل على تجديد الحياة وريقها بالعلم والمعرفة.

فالتطور العلمي والمعرفي، والخبرات البشرية والدروس المستفادة من أحداث التاريخ، متى توفرت لدى فرد أو جماعة فإنها تزودهم بالركائز الضرورية لأحداث التجديد المنشود. والتجديد لا يتأتى من فراغ، ولا يتييسر للكسالى أو المنغلقيين على أنفسهم، ولكنه عمل يقوم به الإنسان الذي يرتاد الطريق، ويتقدم الصفوف، ويكشف معالم الدين، فأصحاب هذا العمل هم الرواد في كل أمة وهم المجددون لفكرها.

وقد شهد تاريخ الفكر الإسلامي العديد من هؤلاء الرواد الذين أثروا الحياة الإسلامية والفكر الإسلامي بأرائهم السديدة، وأفكارهم الرشيدة. منهم: الإمام محمد عبده، وجمال الدين الأفغاني، والشيخ الإمام مصطفى عبد الرزاق، والشيخ محمود شلتوت، وغيرهم، مما يصعب حصره.

وحرص المفكرون في كل عصر، من منطلق غيرتهم على الإسلام وتعاليمه، على إعلان صفاء الفكر الإسلامي ونقاؤه. علما بأنه كان لكل منهم أسلوبه في التجديد، ومنهجه في الإصلاح، ولكنهم جميعا يتفقون في الهدف المتمثل في ضرورة فهم الدين، على أنه دين للحياة بكل أبعادها.

ونتيجة فكرهم التجديدي تضمنت التوصية الآتية : أنه لا يجوز عزل الدين عن الحياة. فالدين فضلا عن كونه عقيدة وشرعية، فهو علم ومعرفة، وحضارة وأخلاق وثقافة ومدنية .

والترعة التجديدية لدى هؤلاء المفكرين تقوم على التشخيص السليم، لأوضاع العالم الإسلامي، والتعرف على مواطن العلة فيه، بهدف تقديم العلاج الصحيح، والخروج بالأمة من أزمتها الحضارية الخانقة، حتى تشارك الركب العالمي في صنع التقدم الحضاري للبشرية جمعاء.

فالقضية المصيرية اليوم أمام الأمة الإسلامية، هي قضية التخلف في شتى المجالات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، وفي مجالات الفكر الديني أيضاً (ونقصد به

عدم دراسة الدين دراسة واعية، مما ولّد التطرف والغلو في الفكر، ففهم الدين فهما صحيحا، والوقوف على غاياته، وسموه ورفعته، وحث القائمين على الجد والعلم والعمل، يصبح الدين هو البديل الأوحّد، لإنقاذ الأمة من وهدة هذا التخلف .

ولا ريب أن شغل الأمة بقضايا هامشية، عبثية لا جدوى منها، يعدّ جناية في حق الأمة، وتعويقاً لها عن مسيرتها نحو التقدم، واحتلال موقعها الذي أراده الله لها كخير أمة أخرجت للناس.

وقد آن الأوان أن يستيقظ المسلمون جيّداً ويجددوا فكرهم على الدوام ليتمشى مع تطورات العصر وليتفتوا إلى الإصلاح في جميع المستويات، وبصفة خاصة إصلاح العقبات واتجاهات التفكير.

إن مشكلة الإسلام اليوم ليست في خصومه، فأمرهم معروف، وكيدهم مكشوف، ولكن مشكلته تكمن في الجهلاء من أبنائه، الذين يفتون بغير علم، ويقولون بغير ما أنزل الله دون فهم أو وعي لتطورات العصر وعدم الفقه للنصوص الشرعية ودinاميكية التشريع الصالح لكل زمان . والتي تتمثل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (٣)

الإسلام والتجديد

مفهوم التجديد في لغة: من جدد الشيء صيره جديداً وجدد بمعنى استحدثه

وصيره جديداً

وأما في الاصطلاح فهو : تحديث الأصول، والثوابت الدينية والفكرية، لتمشى مع تطور الحياة. فلولا منهج التجديد دوماً لهذه الثوابت لطمست ومحيت أصولها، وضاعت معالمها ، فالتجديد يعطي الثوابت قوة ومناعة ، ويحيي فيها أملاً جديداً للعمل في بيئة فكرية جديدة وعصر تطوري جديد. فالتجديد في الفكر يجمع دوماً بين الأصالة والمعاصرة في نسق عمل فكري متكامل ، شامل لكل مناحي الحياة، الثقافية ، والاجتماعية، والاقتصادية ، والسياسية .

دور الإسلام في تجديد الفكر

التجديد في الإسلام فريضة حث عليها، وهي الأساس لنهضته وبنائه. فقد حث على التعليم والتعلم، وجعل العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لا يورثون درهما ولا دينارا، وإنما يورثون العلم.

والعلم هو الأمل لسعادة البشرية، فهو واجب عيني فالحياة لا تستقيم إلا به، ومالا يتم الواجب إلا به فهو واجب. وهذا هو اللائق بأمة طلب العلم فيها فريضة، وأول آية نزلت على رسول الله ﷺ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾^(٤)

ولكي يتحقق التجديد في الفكر الإسلامي، يجب اتباع منهج الإسلام في التجديد والذي دعا إلى :

١- القضاء على الأمية- الدول الإسلامية منذ سنين عديدة وهي تسلك هذا المسلك للنهوض بالمجتمع والقضاء على الأمية، وهو منهج ديني فعله النبي ﷺ في السنة الثانية من الهجرة بعد معركة بدر، حيث جعل فدية الأسرى نحو أمية عشرة من أبناء المسلمين .^(٥)

٢- تنوع التعليم، بحيث يشمل كافة المجالات النظرية، والعملية، فيشمل الدينية والدنيوية، فالإسلام يفسح المجال للنمو والعبقرية، لكي تبلغ أعلى مستويات الدراسة والتخصص، دون أن يكون هناك عائق مادي أو معنوي يعترض ذلك التقدم .

وابن عبد البر^(٦) قديما قسم العلم إلى ثلاثة أقسام فقال: "والعلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة: ١- علم أعلى - ٢- وعلم أسفل - ٣- وعلم أوسط .

فالعلم الأعلى عندهم: علم الدين الذي لا يجوز الكلام فيه بغير ما أنزل الله في كتبه وعلى ألسنة أنبيائه صلوات الله عليهم نصاً.

والعلم الأوسط: هو معرفة علوم الدنيا، التي يكون معرفة الشيء منها بمعرفة نظيره، ويستدل عليه بجنسه ونوعه، كعلم الطب والهندسة.

والعلم الأسفل: هو أحكام الصناعات، وضروب الأعمال مثل: السباحة والفروسية، وهي أكثر من أن يجمعها كتاب، أو يأتي عليها وصف، وإنما تحصل بتدريب الجوارح فيها"^(٧)

وقد أشار القرآن الكريم إلى وجوب التخصص العلمي في مجالات الحياة ، قال تعالى : " ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ " (٨)

وهذه الآية تشير إلى أن الإسلام يفتح باب (الاجتهاد) (٩) على مصراعيه، ويجعله أحد الوسائل الهامة لتجديد فكر الأمة، لتواكب كل العصور . وهو من فروض الكفاية كما دلت عليه الآية السالفة الذكر.

وحدث عليه الرسول ﷺ في قوله لمعاذ بن جبل ؓ حين أرسله واليا إلى اليمن : " بم تحكم ؟ " قال بكتاب الله قال : فإن لم تجد قال : بسنة رسول الله قال : فإن لم تجد قال : اجتهد رأيي ، قال : " الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يبحه الله ورسوله . " (١٠)

فالسحابة رضوان الله عليهم قد وجدت منهم الأحكام التي تدل على هذا الاتجاه وقد جدد عمر ؓ في الإسلام، واجتهد في جمع الناس على إمام واحد في صلاة السراويلح، ولم يكن الأمر كذلك في زمن رسول الله ﷺ ، ولا في خلافة أبي بكر ؓ ، وذلك ؛ لأنه وجد أن هذا الاجتماع تغيير نحو الأفضل ، على ضوء الواقع الجديد (١١)

واجتهادات عمر ؓ كثيرة نذكر منها:

١- جعله لأهل الذمة الذين كبر سنهم، ولا قدرة لهم على العمل حقاً في بيت مال المسلمين.

٢- تقسيم الدولة إلى ولايات .

٣- تعطيل الحدود الشرعية في عام الجماعة.

٤- إنشاء دواوين كديوان الخراج -والجند -والعسس.

وهذا اتجاه نستنتج منه الدعوة إلى التجديد نحو الأصلح والتغيير نحو الأفضل. بما فيه مصلحة للأمة.

واجتهد أيضا الخليفة الثالث عثمان بن عفان ؓ، حيث اكتفي بتحصيل زكاة الأموال الظاهرة من زروع، ومواشي في خلافته، ويترك زكاة الأموال الباطن أربابها، وذلك نظراً لاتساع نطاق موارد الزكاة، مما يلحق بعمال الزكاة العنت، والمشقة في

جمعها والتفتيش عنها ،وتوفيراً لنفقات الجباية ،والتوزيع ، والثقة بأمانة الناس . (١٢)

وبناء على منهج الصحابة في التجديد، يرى الكثير من علماء العصر الحديث، وعلى رأسهم الدكتور القرضاوي الذي قال: "إن فتح باب الاجتهاد ضروري لوضع حدٍ للتعصب المذهبي بين العلماء والفقهاء، وإن تفاوتت آراؤهم وأفكارهم . (١٣)" ويقول الإمام محمد عبده: "الاجتهاد ضرورة اجتماعية؛ فظروف الحياة ومتطلباتها تتغير من زمن لآخر، وبالاجتهاد يمكن التوفيق بين هذه الأحداث، و مبادئ الإسلام العامة؛ وإلا صارت الحياة الإنسانية في المجتمع في عزلة عن توجيه الإسلام" (١٤)

والحالات الاجتماعية التي واكبت العصور الغابرة لا تتكرر أبداً في التاريخ وإنما تتشابه، فلكل جيل الحق أن يبدع نظمه، ويرتب أفكاره ويضع لها قواعد وأصول في ظل المبادئ الإسلامية التي تلي حاجات العصر .

أما عن دور الإسلام في تجديد فكر الأمة، فقد شهد بذلك الكثير من علماء الغرب ومفكروهم، بقدرة الإسلام على تجديد فكر الأمة الإسلامية، ومواكبة التقدم العلمي في العصر الحديث ،نذكر منهم "كابتول سميت " الذي يقول : "ما من دين استطاع أن يوحى إلى المستدين به شعوراً بالعزة ، كالشعور الذي يخامر المسلم من غير تكلف ولا اصطناع ، وإن العربي لا يفهم الإسلام حق الفهم، إلا إذا أدرك أنه "أسلوب حياة " تصطبغ به معيشة المسلم ظاهراً وباطناً ، وليس مجرد أفكار وعقائد يناقشها بفكره" (١٥)

واتفق أغلب العلماء والمفكرين الإسلاميين في كل العصور على ضرورة فتح باب الاجتهاد ، ووضع حد للتعصب المذهبي بين العلماء والفقهاء ، وإن تفاوتت الآراء حول تقويم الفكر وتعدد المدارس الفكرية ، اللاتي يرون أن إغلاق باب الاجتهاد كارثة ، أو سبباً في إعاقة العقل الإسلامي، وجموده ،وتشجيع التقليد الأعمى والتعصب ،ضرر يقع على عاتق فكر الامة.

وتنبه الكثير من علماء عصرنا، على مدى خطورة غلق باب الاجتهاد، ونذكر منهم الشيخ حسن الترابي الذي يرى أن الثروة الفقهيّة التي بين أيدينا غير كافية، لتلبية الحاجات الجديدة .التي نشأت بسبب التطور المادي، والعلمي، والحياتي، ولهذا يقدم

مشروعاً، يطرح من خلال:

١- الحاجة إلى كتابة فقه الصلاة، بصياغة معاصرة: ... فالأصل في الأشياء الحل، وفي الأفعال الإباحة، وفي الذم البراءة من التكليف.

٢- الحاجة إلى نظرية جديدة، إلى أحكام الزواج والطلاق، على ضوء المستجدات المعاصرة.

٣- تطوير أصول الفقه بالتوسع في القياس .

٤- إنشاء مجمع علمي شوري يجمع أئمة وعلماء الأمة ليدوسوا ويناقشوا قضايا الأمة، وإيجاد حل لها. (١٦)

والإسلام ييسر إعادة النظر دوماً في مناهج التعليم في كل المراحل، وفي شتى المسواد، بحيث تنقى من الأفكار اللادينية، والأفكار التبشيرية، والمفاهيم الدخيلة على أمة الإسلام بصفة عامة، وتوجيه الأمة بصفة خاصة، إلى العلوم الإنسانية (التاريخ وعلوم النفس والتربية والاجتماع والاقتصاد ونحوها) لما تحتويه من الأفكار المناوئة للإسلام. حتى مناهج العلوم الكونية لا تخلو من سموم فكرية.

كما أنه فكرٌ اعتدالي يأمر بالاستقامة والاعتدال، وينهى عن التزمّت والتشدد، ويأمر بالسهولة واللين والرفق، وينهى عن التطرف والغلو.

وهدف الإسلام من التجديد في المناهج التعليمية نبيل للغاية، إذا كان هذا التجديد يخدم العلم والتعلم، ويفيد الإيمان، ولا يتعارض مع الثوابت والأخلاق الدينية. والإسلام يحث علماء الأمة على النهوض بأمّتهم وبدينهم، فيأمرهم بالعمل، ويحثهم على البحث والتنقيب، وإجراء التجارب والملاحظات، لكي يفهموا ويفيدوا وفقاً لما تعلموه من كفاية علمية، ومقدرة فنية .

الإسلام وسيلة للتجديد وليس عقبة في سبيل حرية الفكر.

والإسلام عقيدة عامة، شاملة، متكاملة، صالحة لكل تطور بشري ؛ فرسالته رسالة إنسانية ذات مبادئ عامة سامية ، فالعرب هم أول من تلقوها ووعوها وتمثلوها، فالتكليف والتبليغ كان المقصد الأول لأمّتهم، ففيهم ومنهم خرج صاحب

الرسالة ﷺ وبها خاطبهم، وعليها حاربهم، حتى رضخوا للحق وامنوا به، فكانوا حماة الفكر الإسلامي في مهده، وهم الذين شرحوا مبادئه، فقها وأصولاً، ودعوة وأخلاقاً، وتسلموا قيادة الإسلام الفكرية، يدفعون ويدافعون وعن طريقهم امتد الإسلام عبر الزمان والمكان، وامتدت في العالم أخلاقه، متغلغلة بين الشعوب والأقوام، ثقافة وفكراً، وسلوكاً وسماحة ويسراً، وعلماً وأخلاقاً، ورقياً وتقدماً نحو الأمام، لبناء حضارة إنسانية، وسبق أن كانت تعاليمه النموذج العملي والعلمي الأول للعالم، كما كانت مصدراً للرقى البشري، الذي أنار العالم المظلم على مدى العصور.

والعالم لم يعرف قبل الإسلام نظاماً يتصف بالعمومية والصلاحية الدائمة. وكان على مدى تاريخه أرقى التشريعات التي عرفتها الإنسانية على مر الزمان.

والفكر الإسلامي على مرماه الواسع، حول العرب ونقلهم من طور الأمية إلى العلم؛ وجعل منهم أمة ذات رسالة عالمية، وصدق الله إذ يقول ﴿وَأَنَّهُ لَذِكْرُ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ (١٧)

والفكر الإسلامي هو النموذج الأمثل الذي يعبر عن روح الإسلام، ووظيفته في الحياة، وتطويره ليكون حركة ديناميكية مستمرة؛ تسير كل عصر، وتجديده مستمد من وحى السماء الذي أمرنا بالتطوير، في قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ﴾ (١٨)

والعالم اليوم منتظر ومتربح للإصلاح والتجديد لفكر نير واع، يعبر عن روح الإسلام الداعية إلى الرحمة، والمودة، والرأفة، والسماحة، والعدل، والحرية، وإعادة النظر في علوم الإسلام ومناهجه، في عصر اختلطت فيه الأوراق، وتعرض الفكر الإسلامي لهجمات شرسة من جهات شتى. (١٩)

وواجبنا أن نعلن أن الفكر الإسلامي، فكر حر قابل للتجديد في كل زمان ومكان، فلديه من المؤهلات التي تجعله يقود الأمة إلى النصر والتمكين، من خلال ما فيه من توازن في المفاهيم، والمبادئ، والغايات، والأهداف، والمقاصد، فهو فكر إيجابي نقل الأمة على مر العصور والأزمان من الضلال إلى الهداية، ومن الجهل إلى العلم، فهذب

طباع أفرادها ، وحملهم أسمى المقاصد، وأعظم الأهداف، وأبعد الغايات، فسان مادهم من الضياع، وخلصهم من عبادة الشرك والأوثان وأخذ بأيدهم إلى الرقي والتقدم من خلال إطلاق الحريات، التي عمّت سلوك الفرد والأسرة والمجتمع، فنظمت علاقة الإنسان بخالقه، من خلال حرية العقيدة، وأحكام العبادات، وعلاقة الإنسان مع نفسه فيما يتعلق بأخلاقه، فهو حر فيما يفعل وفيما يقول .

كما ضمن الإسلام حرية المعاملة مع الآخرين، من توثيق العلاقات المالية بيعاً وإجارة ودينا ورهنًا . وأمرهم بالسماحة في بيعهم وشرائهم وجمع الدين كله في المعاملة كما أخبر بذلك المعصوم ﷺ.

أما عن الجانب الذاتي، والذي يخص الفكر الإنساني، فالإسلام أعطاه حقوقه كاملة ومن تتبع خطى الصحابة والتابعين وتابعيهم، يقف على صور ونماذج عدة يتبين من خلالها أن الحرية الفكرية كما فهموها، حق تشريعي قانوني، يتفق مع إنسانية الإنسان وفطرته .

لكن هذه الحرية لا تتم إلا إذا حفظ المؤمن بكل دين حرية الآخرين، في إيمانهم ، وفي ممارسة شعائرهم ؛ ولم يحاول أن يضرّ بهم، أو يفسد عليهم دينهم ... ، والتعبير القرآني ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾^(٢٠) يعني بكل وضوح أننا لا نكره أحداً على دينه؛ ولا يكرهنا أحد على ديننا. فالحرية مضمونة بشرط أن لا يتعد أحد على غيره ...^(٢١)

وحرية الفكر في الإسلام تعني: أن الفرد يملك أن يحمل أي فكر ، وأن يبدي أي رأي ، وأن يدعو إلى فكره، وأن يعبر عن ذلك بشتى الوسائل، والأساليب، دون أن يكون للسلطان أي حق في منعه من ذلك .^(٢٢)

يقول إتيان دينيه: "إن العقيدة الحميدة لا تقف عقبة في سبيل الفكر ، وقد يكون المرء صحيح الإسلام وفي نفس الوقت حر الفكر ، وكما أن الإسلام قد صلح منذ نشأته لجميع الشعوب والأجناس فهو صالح كذلك لكل أنواع العقليات وجميع درجات المذنبات .^(٢٣) وعن ديناميكية التطور الفكري في الإسلام يقول الجنرال بوهرر: "الإسلام يبقى قابلاً للتطور حتى في ظل الدولة المدنية لأن كل إصلاح يفرض على المسلمين فرضاً لابد منه من أن ينهار عاجلاً أو آجلاً.^(٢٤)

أما عن الشبهات حول الإسلام والقول بالجمود الفكري فقد كذب هذه الشبهات المفكر المجري (فلكس فالي) الذي يقول: إن هذه الدعوة لا دليل عليها، لقد كان الإسلام في كل عصوره، مثلاً للحركة الفكرية في التاريخ. (٢٥)

الإسلام يدعو إلى التجديد والتطوير

إن المتفحص في آيات القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ يرى فيهما دعوة صريحة إلى التطوير والتغيير، والحداثة والتحديث، والإصلاح ومقاومة الفساد، ويتبين ذلك فيما يلي:
أولاً: دعوة الإسلام في كثير من النصوص القرآنية والسنة النبوية الشريفة، إلى الاجتهاد والتجديد.

ثانياً: مقاومة الجمود والتقليد، والإيمان بمواكبة التطور، ومواصلة التقدم، وأن الشريعة لا تضيق بجديد، ولا تعجز عن إيجاد حل لأي مشكلة، وإنما العجز سببه عقول المسلمين، وضعف عزائمهم، وأن الاجتهاد أصبح في عصرنا فريضة وضرورة يوجبها الدين، (كما اشرنا إلى ذلك من قبل) ويحتمها الواقع؛ فبابه مفتوح لأهله بشرطه، سواءً كان اجتهاداً ترجيحياً انتقائياً، أم اجتهاداً إبداعياً إنشائياً، فردياً أم جماعياً، جزئياً أم كلياً. ولا يملك أحد إغلاقه.

فالفكر الإسلامي لديه من المؤهلات، التي تجعله يحتضن الأفكار المستحدثة، واستيعاب أرقى نظريات الفكر، وتطورات الحضارة.

يقول المفكر الدكتور "بول دي ركلا": "لست بمغال إذا صرحت وقلت إن الإسلام مفتوح بابه على مصراعيه، وهو واسع الأرجاء، ليتلقى الرقي الحديث الذي أنتجته الأجيال الطويلة... فتعاليمه الرفيعة ستبقى خالدة ومضاءة الأنوار تكشف كل مدنية تتمخض عنها العصور. (٢٦)

فالدين كفيل بتهديب الأخلاق، وصلاح الأعمال، وحمل النفوس على طلب السعادة، فلكي يتحقق الإصلاح لابد وأن يكون هناك قواعد وأسس سليمة، تقوم على بناء الإنسان، روحاً وعقلاً وجسداً؛ وبناء ذاته عقيدة وأخلاقاً، وتعزيزه بالعلم وتمكينه بالإيمان، وتثبيته بالأخلاق.

ويرى الأستاذ توفيق الطيب أن الإصلاح لا يتحقق إلا من خلال إحياء المفاهيم والقيم الذاتية، وهذا هو الشرط الأصلي لتجاوز الأزمة، ويتحقق الإصلاح^(٢٧).

والإسلام احتوى على كل مبادئ الديمقراطية^(٢٨) من العدالة الاجتماعية والمساواة بين البشر وإطلاق الحريات، ومنع الغش والرشوة والمحسوبية، وأيضاً تاريخ الإسلام احتوى على نماذج عدة كان لها دور فعال في إصلاح المجتمع.

التجديد في الإسلام ودوره في النهوض بالمجتمع
ركز الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، على الطرق التي تنهض بالفرد والمجتمع، ووضع في ذلك قواعد وأسس يتم من خلالها التجديد في البناء، والتطوير للفرد حسب التطور العالمي للإنسانية.

وقرر الإسلام حق الرضاعة والحضانة، واهتم بالطفولة، وحافظ على الروابط الأسرية، كي تمتد وتزدهر، فلا تنقطع ولا تتوقف.

وقرر أيضاً حق النفقات للأصول على الفروع، والفروع على الأصول. وقرر حق التوارث بنظام فريد يحفظ لكل ذي قرابة حقه.

وقرر حق العتق لمن ملكه، وقرر وجوب صلة الأرحام بالبر والتعهد والزيارة.
وأهداف الإسلام في بناء الأسرة، وتحديد قواعدها وسلوكياتها حسب التطور العصري كثيرة ومتعددة، فحقق بالغريزة من خلال المقاصد التشريعية ما يشبع غريزته الجنسية، وجعل لها سبل وقنوات شرعية منها:

١- إشباع الدافع الجنسي على نحو يصون العفة ويحفظ الأعراض.

٢- الحفاظ على بقاء النوع الإنساني، وصيانه من الانقراض.

٣- نقاء النسل، وصيانة الأنساب من الاختلاط.

٤- إيجاد جو صالح لضمان النشأة السوية للكائن الإنساني.

٥- صيانة المجتمع من التحلل والفساد.

وعن دور الإسلام الاجتماعي وأثره في تطوير المجتمعات يقول المفكر "جب" إن الفكر الإسلامي العربي قد استطاع أن ينشئ خلال السنين الطويلة توازناً اجتماعياً يدعو

إلى الإعجاب من جميع الوجوه.

ويقول أيضا: إن الإسلام كان دائما مصدرا للنهضة في العالم العربي .. فلم تقم حركة وطنية في العالم العربي إلا وكانت الروح الإسلامية أساسها، (٢٩).

الإسلام ودوره في مواجهة عقبات التجديد

العقبات التي تعوق التطور الفكري كما سبق الحديث عن بعض منها كالجمود والتقليد والتحجر العقلي أمام النصوص، دون شرح وتفصيل، وتفسير وتبيين عصري لها مما جعل بعض من علماء الغرب يتهم الإسلام بالنظام (التيوقراطي) ومعناه أن معتقيه يتلقون سلطته من رجال الدين، الذين يقفون عند النص دون تفسير أو توظيف له في حل قضايا العصر.

والإسلام لا يعطي الحرية الكاملة لشخص بعينه، أو مجموعة أشخاص احتكار تفسير كلمات الله، أو حكم المسلمين ضد إرادتهم الحرة.

والأمة الإسلامية هي الحاكمة، وهي صاحبة السلطة، وهي التي تختار حاكمها، وتشير عليه، وتقدم له النصيح، والخليفة في الإسلام ليس وكيلاً عن الله، وليس له حق مقدس للشعوب، ولا نائب عن الله في الأرض، وإنما خليفة الأمة، وراعٍ لمصالحها.

ومن هنا كان التجديد في الفكر الإسلامي في هذه الحقبة من الزمن في غاية الأهمية لتبصير الأمة تجاه التحديات التي تواجهها، لكي تخاطب الآخر باللغة التي يريدونها، ألا وهي لغة (الحوار) فهي الثقافة التي يجب أن تكون العنصر الأساسي في العلاقات بين الأمم والشعوب، في عالم اليوم، لأنها البديل الحضاري المتاح لإقامة محطات متعددة، لتنمية التعاون والتبادل.

وان كان البعض يرى بأن الحوار فكرة العصر لاختلاف المنهج الحوارية، وأن الإسلام مهيم على كل الأديان، لكننا نرى بأنه فكرة شجع عليها الإسلام، وفريضة دينية أمر بها الله في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (٣٠)

إن الإسلام عندما أمر المسلمين أن يحاوروا الآخر بروح الدين، الذي يجمع بين الإنسانية في بوتقة الأخوة، ويجمع بين الأديان السماوية في الدعوة إلى التوحيد ونفي الشريك وإفراد الله بالوحدانية، وهو منهج الأنبياء جميعاً .
ونشير هنا إلى أن فكرة الحوار بين الأديان ، لم تكن وليدة عصرنا، وإنما نشأت بعد انهيار دولة الخلافة الإسلامية في تركيا .

وقد برزت بشكل واضح في عام ١٩٣٢م بإرسال فرنسا ممثلين عنها لمفاوضة رجال الأزهر في فكرة توحيد الأديان الثلاثة : الإسلام واليهودية والنصرانية وتبع ذلك مؤتمر عقد في باريس في العام ١٩٣٣م شارك فيه مستشرقون ومبشرون من جامعات أوروبية وأمريكية إلى جانب علماء من تركيا وغيرها.

وفي عام ١٩٣٦م عقد مؤتمر الأديان العالمي^(٣١) وتبين من خلال هذه المؤتمرات أن الإسلام ينظر إلى أتباع الأديان الأخرى نظرة تسامح ورفق وهو منشأ التطور والرقى في المجتمع يقول جستاف لوبون : "إن تأخر المسلم يرجع إلى تركه روح الدين وتشبهه بالعقائد الباطلة فإن الدين قوة أدبية لا يستهان بها ، إن الشعب الذي يريد الرقي لا يقطع الصلة التي تربطه بـماضيه ."^(٣٢)

ويرى أيضاً أن العلوم العصرية لا تفيد المسلمين إلا إذا قرنت بتربيتهم الدينية وسارت جنباً إلى جنب مع أوضاعهم وعقائدهم ، وإن تهذيب المسلمين بالمعارف العصرية الأوروبية خارجاً عن دائرة تقاليدهم وعقائدهم، يزيدهم انحطاط، وفساد أخلاق، ولن تنفعهم هذه العلوم ، إلا إذا كانت ضمن دائرة عقيدتهم وقوميتهم . . ."^(٣٣)

ومن هنا رأى الكثير من المفكرين أن التجديد يلزمه أن يكون مرتبطاً بالدين؛ والدين هو الذي يجعل الأمم تتعايش في أمن وسلام ، وبمقدوره أن يزيل العداوة والبغضاء، من ثقافات الشعوب وسياسات الدول .

والتجديد في مناهج العلوم الإسلامية مهمته الربط بين الاصاله والحداثة، ليُخرج منهاجاً ينطلق من الاصاله، وليقف عند قمم الحداثة . فالحاجة الآن ماسة لتجديد العلوم الإسلامية على أساس الثقافة الدينية المستحدثة، المتجددة التي تمشي مع تطورات العصر

بشرط أن تحفظ للأمة كرامتها، وتصون حرمتها، وتقوي إرادتها، وتدرك مالها وما عليها.

الإسلام يوظف التجديد لتقوية الروابط بين المسلمين وغيرهم

قد تتفاوت العقول، وتختلف المصالح وتتعارض الروايات ولا يخلو مجتمع من الاختلاف في وجهات النظر، وقد يعرض فريق وجهته وحجته، ويدفع الآخر يجادل بالحكمة والموعظة الحسنة، دون أن يكون تغليظاً في القول أو فحشاً في اللسان، أو قذفاً ببهتان.

والإسلام يمهّد الطرق ويسر السبل، ويوظف الفكر؛ ليتفادى العداوة والبغضاء ويربط بين البشر برباط زمالة العالمية، يقول الدكتور وهبه الزحيلي "إن الإسلام أقر بوجود زمالة عالمية بين أفراد النوع البشري، ولم يمانع أن تتعايش الأديان جنباً إلى جنب^(٣٤)."

ولم يغفل علماء الغرب ومفكروهم، دور الإسلام في تجديد وتطوير وتنشيط فكر الأمة، وجمعها بعد تفرق، من طرق متعددة، سواء أكانت هذه الطرق تعبدية، أم معاملاتية، أم أخلاقية سلوكية.

وحول هذا الدور التجديدي في الإسلام، ودعوته إلى وحدة الأمة، وحسن تعاملها مع غيرها، يقول الدكتور القرضاوي، واصفاً الإسلام ودوره في ربط المجتمع برباط الأخوة "إسلام يحترم غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، ويعتبرهم في ذمة الله، وذمة رسوله، وذمة المسلمين، أي في عهدهم وضمائمهم، وهذا تعبير ديني، يعني لدى المسلم: أنه يتعبد لله تعالى بالمحافظة عليهم، والدفاع عنهم، والبر لهم والإقسط إليهم. فإن كان يؤذيهم، فليترك، حرصاً على شعورهم، والعبرة بالمسميات لا الأسماء.

وهو يكفل لهم حرية الاعتقاد والتعبّد، ويحافظ على دمائهم، وأعراضهم، وأموالهم، كما يحافظ على المسلمين سواء بسواء، ويحميهم من الظلم في الداخل، كما يحميهم من العدوان من الخارج، ويجعل لهم من الحقوق والحرّمات في الجملة، ما للمسلمين، وعليهم ما عليهم.... ويضع من الضمانات المعنوية والمادية والقانونية ما يكفل هذه الحقوق^(٣٥)

وعن عوامل الترابط النفسي والمعنوي بين أبناء الأمة الإسلامية يقول المفكر باول شميتر : "إن اتجاه المسلمين نحو مكة، وطن الإسلام عامل من أهم العوامل في تقوية وحدة الاتجاه الداخلي بين المسلمين، وأسلوب يضاف على جميع نظم الحياة في المجتمع الإسلامي طابع الوحدة، وصفة التماسك، حيث يتوجه المسلمون كل سنة نحو مكة فتتحد خطاهم نحو هدف واحد" (٣٦).

والإسلام دين يدعو إلى الوحدة، وإلى الترابط والتآخي، وإلى التواد والتعاطف والتراحم بين المسلمين، وينهى عن التفرقة والخصومة والتراخ. ساوى بين الناس عامة في الإنسانية . ويصف المرحوم الشيخ محمد الغزالي هذه الخصائص التي تميزت بها رسالة الإسلام فيقول: " ليس هناك دواع معقولة تحمل الناس على أن يعيشوا أشتاتا متناكرين . بل الدواعي القائمة على المنطق الحق، والعاطفة السليمة، تعطف البشر بعضهم على البعض ، وتمهد لهم مجتمعا متكافلا، تسوده المحبة ، ويمتد به الأمان على ظهر الأرض . والله عز وجل رد أنساب الناس وأجناسهم إلى أبوين اثنين ،ليجعل من هذه الرحم الماسة ملتقى تشابك عند الصلات وتستوثق. (٣٧).

فالتعارف لا التناظر أساس العلاقة بين البشر عامة، وبين المسلمين خاصة، فقد جعل الله لهم مؤتمراً سنوياً عالمياً، يجمع فيه رموز من أمة الإسلام، يجتمعون من أقصى بلاد العالم في قرية كونية واحدة، إلا وهى، مكة المكرمة، قائدهم إمام واحد يأتمون به، وقبلتهم قبله واحدة.. أليس كل ذلك دعوة إلى العالمية ودعوة إلى الكونية، ودعوة إلى إزالة الحواجز الطبقية التي تفترق بها الشعوب. دعوة للتعارف والتواد والتسامح والمحبة بين الأمة. يقول المفكر الإسلامي محمد إقبال: "إننا لا نستطيع أن نتجاهل أن وضع الجسم عامل حقيقي، في تعيين اتجاه العقل، واختيار قبله واحدة لصلاة المسلم، أريد به أن يكفل وحدة الشعور للجماعة وهيئتها تخلق على العموم الإحساس بالمساواة الاجتماعية وتقوي أواصره بقدر ما تتجه إلى القضاء على الشعور بالطبقات، أو تفوق من المتعبدین على جنس آخر (٣٨).

من مهام التجديد في الإسلام (الدعوة إلى الوسيطة)

يبرز التجديد في الفكر الإسلامي ، وسيطة الإسلام التي تدعوا إلى كل ما سبق عرضه من دعوى الإسلام إلى الرحمة واليسر، والابتعاد عما يشق على الناس، وهذا ما عناه القرآن الكريم وأرادته في قوله: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾^(٣٩) وهو منهج من مناهجه، ودافع من دوافعه، وسمة من سماته ، وذلك للاعتبارات الآتية:

إن التوازن هو الأليق والأكثر ملاءمة لرسالة صفتها الخلود وشأنها العموم. والوسطية. تعني العدالة فلقد وصف الله سبحانه امة الإسلام بقوله : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(٤٠)

إن الوسطية علامة الخيرية ، فالصلاة الوسطى خير الصلوات، ولذلك خصت بالأمر بالمحافظة عليها . وواسطة العقيدة أفضل لأمن العالم. فهي تعمل على تحقيق الأمن والأمان لكل البشر: فدعوى الإسلام إلى والاعتصام بالكتاب والسنة أمان للبشرية من الفساد والشر في الدنيا ، ومن سوء العاقبة والمنقلب يوم الحساب .

إن الوسطية دليل القوة فمرحلة الشباب تمثل مرحلة العطاء في حياة الإنسان ، تتوسط بين مرحلتين وهما الطفولة والكهولة^(٤١) مظاهر الوسطية في الإسلام :

الوسطية تعني الاعتدال وعدم التفريط ، أو الإفراط في أي شيء، وإعطاء جوانب الحياة حقها ، ومن مظاهرها أيضاً :

أولاً : في مجال العقيدة، (التوسط بين النقل والعقل) .

فالإسلام يخاطب المخالفين بحوار هادف بالحكمة والموعظة الحسنة . ويرفض

الغلو والتطرف .

ثانياً : في مجال الإنسانية تكريم الإنسان وتفضيله على ما خلق

ثالثاً : في مجال الشريعة (التوسط بين العبادة والعمل)

رابعاً: في مجال الأخلاق (وسط بين المثالية والواقعية)

خامساً: الوسطية في الاقتصاد: (التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة)

سادساً: في مجال الحال السياسي: (للمحاكم حقوق نحو الرعية كما أن عليه واجبات تجاههم).

سابعاً: في مجال الأسرة ، (رفض القسوة والغلظة التي تؤدي إلى تبدل المشاعر، وانقطاع أواصل الود بين الفرد والمجتمع).

والوسطية في الإسلام لكل الناس أبيضهم وأسودهم، غنيهم وفقيرهم، عالمهم وجاهلهم، بدويهم ومدنيهم ، مسلمهم وكافرهم كل الناس والقول الحسن من قواعد الدين وتكاليفه وهذا المعنى مبني في الإسلام على قاعدة كلية فقهية تقول (المشقة تجلب التيسير) وقد استنبطها الفقهاء من عدة آيات قرآنية، وأحاديث نبوية.

ومن مهام الوسطية في الإسلام أنها تجمع بين اكتمال الدين وتجديده، وترتبط بين الحياة المادية والروحية في رباط واحد، وتوثق عرى التعاون البناء بين الحياتين ، كما أنها تربط بين السلفية بمعنى العودة إلى الدين في أصوله وفروعه .

وليس في الإسلام ما يخالف فطرة الإنسان التي فطر الله الناس عليها ؛ فالعقيدة لا غيب فيها ولا مجهول؛ ولا لبس فيها ولا غموض.

وصفات الله الإلهية، لا يستطيع الإنسان إدراك حقيقتها بفطرته، على عكس الاستدلال على وجود الله ، ووحدانيته وخلقه ، وتصريفه وتديره، فكلها قضايا لا تخفى على الإنسان، إذ إنه يدركها بفطرته .

والإسلام: نظام يجمع بين طبيعة الإنسان وفطرته ، ليحكم شهوات الإنسان وينظم حياته المادية، والاجتماعية والثقافية ؛ تنظيمًا شاملاً لأمر الدين والدنيا معاً .

فالإيمان بالله وأثبت قدرته والاعتقاد في حياة أخرى بعد الموت يرتقي بالنفس البشرية نحو الكمال الأخلاقي، ويؤلف بين القلوب، وينمي العزة والقوة عند المسلمين .

والدين :عقيدة وشرعة، والعقيدة هي: الإيمان بالله ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر، والشرعة هي: المنهج، والسبيل الذي يختص بكل ما يهم المسلم من عبادات، وعادات، ومعاملات وأسرة .

ومنهج الوسطية هو أحد دعائم التجديد الذي يضمن للمسلمين وحدة الاتجاه، كما يضمن لهم صلاحية هذا المنهج لكل زمان ومكان، منهج جعل الحضارة الإسلامية متميزة بعناصرها الإيمانية والإنسانية على كل حضارات العالم، ففيها من قوة الجذب والتأثير ما لم يكن للحضارة سواها على مر تاريخ البشرية كله، وحسبنا دليلاً ناصعاً على ذلك أن هذه الحضارة قد استطاعت أن تعم أكثر من نصف الأرض المسكونة في أقل من نصف قرن من الزمان، يوم كان المسلمون حريصين على تطبيق المنهج بدقة وإخلاص. (٤٢)

وبناء على ما سبق نستنتج أن منهج التجديد في الإسلام منهج عام رباني في مصدره وغايته، إذ إنه يزود الإنسان بمجموعة من الحقائق والمعايير والقيم الثابتة التي توجه عمله وإسهامه، بل وتعينه على عمارة الأرض.

وقد رأينا أن وسطية الإسلام تجمع بين العقيدة والشرعية، في بناء الكيان الإنساني للإنسان، ليمشي الإسلام مع الطبيعة العالمية،

والإسلام لم يكن يوماً ما وسيلة لحمل الناس على اعتناقه بالقهر والإكراه، في أي صورة من الصور.

كما أنه لم يكن وسيلة للقهر العقلي، ولم يضق بمخالفيه ذرعاً، مع العلم أنه يخالفهم في المنهج والعقيدة، بل اعتبر هذه المخالفة ضرورة من ضروريات الفطرة الإنسانية، وغرضاً من أغراض الإرادة العليا في الحياة. قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ لَا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٣)

والإسلام احتضن الرسالات والديانات كلها من قبله، وقرر مع وحدة الإله وحدة العقيدة ووحدة الدين الذي أرسل الله به رسله جميعاً، فكل الرسل جاءوا بدين واحد هو الإسلام، إسلام القلب لله وحده بلا شريك، هذا هو أساس العقيدة الذي لا يتبدل.

أما الشريعة فهي: التي تنظم حياة الجماعة، بنظام محكم قابل للتطور، تبعاً لمصلحة البشرية ودرجة نموها وتطورها وإدراكها.

لذلك كانت شريعة الإسلام قابلة للتجديد وفق منهج الحياة " لتنظيم حياة البشر فهي شريعة كونية، متصلة بناموس الكون العام ، ومتناسقة معه ... ومن ثم ، فإن الالتزام بها ناشئ عن ضرورة تحقق التناسق بين حياة الإنسان، وحركة الكون الذي يعيش فيه. فالبشر لا يملكون أن يشرعوا لحياتهم، نظاما يتحقق به التناسق بين حياة الناس وحركة الكون ، ولا حتى التناسق بين فطرتهم المضمرة وحياتهم الظاهرة، وهكذا يصبح العمل بمنهج التجديد في قضايا الفقه وأصوله واجبا لتحقيق ذلك التناسق. (٤٤)

والتناسق من خلال نظرة موضوعية لقضايا العصر ، يكمن حسب مفهوم الشرع الخفيف لها ، الشرع الذي يحقق للإنسان السلام مع أخيه الإنسان ، مع الكون المحيط به منعاً من التنازع، والشقاق ؛لتسود المحبة والمودة والمؤاخاة بين البشر، وليحقق السلام مع الذات ، من حيث تفاعله مع فطرته، لحمايته من أبشع الأمراض النفسية، التي تصيبه عندما تحيد فطرته عن منهج الله .

إذاً منهج التجديد في الإسلام ، منهج تربوي يربي الإنسان ، ليعيش في أي زمان حل فيه ، ويقرر أن وظيفة الإنسان في القيام بحق الخلافة في الأرض ،أي عمارتها والرقى بالحياة على ظهرها وفق منهج الله .

وصور الخلافة في الأرض تتطور حسب متطورات العصر، فأوضاع الحياة تتطلب ذلك، ليفي الإنسان بشروط الخلافة ؛لتتحقق الغاية منها، وهي أحقية الإنسان في أعمار الأرض ، وفق منهج الله ، دون أن يكون هناك اعتداء أو تعدّ على بني جنسه .

وقد بين الإسلام أن الأوضاع تتغير باستمرار، وفق الأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية، وكل ما شابه ذلك .

فهذه الأوضاع تتغير على الدوام بحكم فاعلية الإنسان في الأرض ، واستخلاف الله له فيها ، وبحكم تفاعل عقله الدائم مع الكون المادي، يرى أن هذا التغير لا ينبغي أن يكون منفلاً من كل قيد ، وإنما تحكمه إرادة كونية ، دون أن توقّف حركته أو تعوقها ، وتمنع من حياته الخلل والاضطراب ، وإن الشريعة الربانية قد روعي فيها من لدن مزلتها سبحانه ، أن تستجيب للجانبين معاً ، على نحو معجز . ففي الجوانب الثابتة تعطي

الشرعية تفصيلات ثابتة غير قابلة للتغير .

وفي الجوانب المتغيرة تعطي أصولاً عامة ثابتة ، وتترك للعقل البشري المؤمن أن يجتهد بما يراه محققاً للمصلحة في المصالح المرسله ، التي لم يترل فيها نص بحيث لا يتخطى تلك الأصول الثابتة ، ولا يصطدم معها ، وهذا الذي يعطي الشريعة مرونتها ، وصلاحياتها لجميع الأجيال إلى قيام الساعة (٤٥)

وهكذا تتكامل جوانب التجديد في الإسلام الذي عبر عنه الرسول ﷺ بقوله: "جددوا إيمانكم، قيل يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: "أكثرُوا من قول لا اله إلا الله" (٤٦)

إن كلمة التوحيد هي الثورة التي تكشف عن نقاء هذا التوحيد ، عندما تزيل عن أصوله وجوهره ، غباراً وآثراً للعبودية ، والخضوع للطواغيت ، وبذلك يتجدد الإيمان ، وتتكامل جوانب الشخصية في الإنسان ، بما يتمشى مع تصور لوحدة الكون وتكامل أجزائه لكونه ، صادراً عن الإرادة المباشرة ، للواحد المطلق وهو الله سبحانه وتعالى .
فدوماً ينادي علماء الأمة ، أهل الحل والعقد ، وقياداتها الفكرية والسياسية بدعوى التجديد ، عندما تكون الأمة في حاجة إلى ذلك التجديد ، ليتغير وضع العالم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وفكرياً ، عندئذ ترتفع الدعوة إلى التجديد لمواكبة تطور العصر .
نستنتج من خلال ما سبق:

أن الإسلام يدعو إلى التجديد الذي يواكب التقدم العلمي من خلال طرق عدة منها

- ١- إصلاح المجتمع بالرجوع إلى المفاهيم الإسلامية الصحيحة .
- ٢- وضع طرق حكيمة للنهوض بفكر الأمة .
- ٣- تهذيب الأفكار من خلال تطهير العقول من العبث الفكري ، وأثاره السلبية والمعنوية .
- ٤- إعلان مبدأ وسطية الدين ، التي عمت العالم ونشرت الأمن والسلام بين شعوب العالم أجمع
- ٥- تجديد روح الحياة والقوة في المناهج الإسلامية وإصلاحها .
- ٦- تحقيق الاصاله والاستقلالية لفكر الأمة .

- (١) الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة ص ٢٧ أنور الجندي دار الاعتصام
- (٢) الحديث أخرجه أبو داود في السنن رقم ٤٢٨٨ انظر مشكاة المصابيح ج ١ / ٣٦٥ والحاكم في المستدرک ج ٤ - ٥٦٧ وذكره صاحب جامع الأحاديث والمراسيل ج ٢ / ٢٨١
- (٣) الأنعام الآية ١٥٣
- (٤) العلق الآية ١
- (٥) راجع الحل الإسلامي فريضة وضرورة ٤٣-٤٤ د يوسف القرضاوي طبعة رابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م مكتبة وهبة
- (٦) - هو : شيخ الإسلام: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمر الأندلسي القرطبي ولد سنة ثمان وستين وثلاثمئة، و توفي سنة ثلاث وستين وأربعمئة. من آثاره : الكافي في مذهب مالك (راجع سير أعلام النبلاء ج ١٨ / ١٥٣ .
- والتمهيد ج ٧ / ١٥٠
- (٧) جامع بيان العلم ج ١ / ص ١٢ لابن عبد البر
- (٨) التوبة الآية ١٢٢
- (٩) الاجتهاد في اللغة : مشتق من مادة (ج،هـ،د)، بمعنى بذل الجهد (بضم الجيم) (وهو الطاقة). أو تحمل الجهد (بفتح الجيم) وهو المشقة) للمزيد راجع لسان العرب مادة جهد لابن منظور طبعة دار المعارف بمصر وانظر الإحكام في أصول الأحكام للأمدى ج ٤ ص ٢١٨ طبعة دار الكتب العلمية بيروت .
- وصيغة الافتعال " تدل على المبالغة في الفعل .
- وقيل إن الاجتهاد في اللغة : است فراغ الوسع في أي فعل كان ، ولا يستعمل إلا فيما فيه كلفة وجهد . فيقال أجتهد في حمل حجر الرجا ، ولا يقال: أجتهد في حمل خردلة^١ انظر المستصفي في علم الأصول ج ٢ ص ٢٥٠ للغزالي

أما في اصطلاح الأصوليين، فقد ورد ذكره عندهم بعبارات متفاوتة، لعل أقربها ما نقله الإمام الشوكاني في كتابه: إرشاد الفحول في تعريفه بقوله: "بذل الوسع في نيل حكم شرعي عملي بطريق الاستنباط.. (للمزيد راجع ص ٢٥٠)

ولم يكتف بعض الأصوليين بكلمة "بذل الوسع" وجعل بدلها كلمة "استفراغ الوسع"، بل زاد الإمام الآمدي على ذلك، فقال في تعريفه: "هو استفراغ الوسع في طلب الظن بشئ من الأحكام الشرعية، على وجه يحس من النفس العجز عن المزيد عليه .

فجعل الإحساس بالعز عن المزيد جزاء من الحد والتعريف. أما الإمام الغزالي فجعل ذلك جزءاً من تعريف الاجتهاد التام. أنظر المستصفى في علم الأصول جـ ٢/ ٣٥٠

(١٠) الحديث أخرجه أحمد في مسنده جـ ٥/ ٢٤٢ دار صادر بيروت

(١١) الإسلام مقاصده وخصائصه ٩٥ د محمد عقله طبعة ثانية ١٩٩١ م ١٤١١ هـ مكتبة الرسالة الحديثة الأردن عمان

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) الاجتهاد في الشريعة الإسلامية مع نظرات تحليلية في الاجتهاد المعاصر ص ١٠٢/ د يوسف

القرضاوي بتصرف دار القلم الكويت طبعة ثانية ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م

(١٤) انظر تاريخ الأستاذ الإمام محمد رشيد رضا جـ ٢/ ٤٧٧

(١٥) الفكر الإسلامي المعاصر ٣٦ والثقافات المعاصرة ص ١٧٨ أنور الجندي دار الاعتصام

(١٦) راجع تجديد أصول الفقه الإسلامي ص ٢٥-٢٨-٤٠ باختصار د/ حسن التراي دار الراية

للنشر تونس ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م

(١٧) الزخرف من الآية ٤٤

(١٨) الرعد من الآية ١١

(١٩) الهجوم الإعلامي على الإسلام وفكره، له جذور قديمة، فهو أحد أساليب الكفار؛ للصد عن

سبيل الله تعالى، بدءاً من كفار قريش وحتى عصرنا الحاضر، وهذا الهجوم له ألوان كثيرة، ولكنها كانت محصورة في نطاق الشبهات، والمغالطات، والطعون، لكن بعد أحداث الحادي عشر من

سبتمبر، اتصف الهجوم بالبذاءة، والسخرية والاستهزاء من رموز لها مراكز سياسية كبرى في العالم، وتجنّبهم على الإسلام أنه دين يعلن العداء للغرب، وأنه يحارب الحداثة والتقدم. مستخدمين في ذلك ضعف المسلمين، وقلة العلم المنتشر بينهم، ولاريب أن الناظر والمحلل في أسباب هذه الهجمات، سيجد أن أولها: سرعة انتشار الإسلام بين طبقات المثقفين الغربيين مما أثار غيرة وحقد المعادين للإسلام. وثانيها فشل الحملات التبشيرية في تنفيذ مخططاتها في وقف النمو الإسلامي في أوروبا،

(٢٠) البقرة من الآية ٢٥٦

(٢١) راجع مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها ٢٥١-٢٥٢ علال الفاسي دار الغرب

الإسلامي

(٢٢) الفكر الإسلامي والثقافات المعاصرة ص ١٧٨ أنور الجندي دار الاعتصام

(٢٣) المصدر السابق.

(٢٤) المصدر السابق.

(٢٥) المصدر السابق.

(٢٦) المصدر السابق.

(٢٧) الفكر الإسلامي والثقافات المعاصرة، ص ١٧٨ الأستاذ أنور الجندي، دار الاعتصام

(٢٨) الفرق بين ديمقراطية الإسلام والديمقراطية الرأسمالية. فقد تأثرت الديمقراطية الغربية ببعض مبادئ

الشورى في الإسلام، وأشهرها ما يعرف لدى النظم الغربية "بالنظام النيابي" الذي ينوب فيه نواب

منتخبون عن الأمة للقيام بمهام سلطات التشريع، والرقابة، والمحاسبة لسلطات التنفيذ فهو من آليات

الديمقراطية (راجع فكر المسلم المعاصر ص ٥٢، لفيف من كبار العلماء، طبعة أولى ١٩٩٢ مركز

الأهرام.

غير أن هناك فرقاً كبيراً بين المبدئين، فالإسلام شرع الشورى فيما لم يكن فيه نص شرعي عن

طريق الوحي، فالسيادة في التشريع ابتداءً، هي لله سبحانه وتعالى، تجسدت في الشريعة التي هي وضع

ألهي، أما الديمقراطية، فإن التشريع يكون فيها من قبل الشعب، من خلال المجالس النيابية، وهذه المجالس

تعرف في الإسلام باسم (البيعة) والتي يمثلها أهل الحل والعقد، الذين لهم حق الاجتهاد في الأمور التي لم يكن فيها نص شرعي.

كذلك نرى الديمقراطية الليبرالية، ترى أن الإنسان سيد الكون، لأنه مصدر التشريع، وسن القوانين التي تحكم البشر. أما الشورى فإنها تضع الإنسان موضع الخادم الذي يقوم بتنفيذ أوامر السيد وهو الله عز وجل، واجتناب نواهيه على قدر كبير من الخضوع له، لذلك ورد أن "النظرة الإسلامية لمكانه الإنسان في الكون، لا تجعل هذا الإنسان سيّداً للكون وإنما تجعله خليفة عن سيد الكون، فلقد رأت هذا الخليفة محكوماً في أدائه لأمانة الاستخلاف، وعمارة الأرض بينود عقد، وعهد الاستخلاف التي هي الشريعة الإلهية. أما (الديمقراطية) فقد وضعت نفسها موضع الإله في الأرض، فمن خلال مجالسها النيابية تسن، وتشرع القوانين، وتحذف، وتضيف كما تشاء، دون النظر إلى موقف الدين الذي تدين به تلك الشعوب.

لقد قضت الديمقراطية الليبرالية على الدين المسيحي، وأحلت الحداثة^(١) محله، مما أدى إلى فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً، وأصبحت الديمقراطية توظف الدين توظيفاً مادياً حسب مقتضيات العصر، لذلك أصبحت الحرية شعارات براق، خداعة، لا أساس لها على أرض الواقع، فلا تتحقق الحرية الحقيقية، ولا المساواة الحقيقية، ولا الإخاء الحقيقي إلا حين يكون الله وحده هو المشرع، ولا يكون للبشر حق التشريع من عند أنفسهم، وكل ما ترفعه الديمقراطية من شعارات الحرية والإخاء والمساواة إن هي إلا شعارات، غير قابلة للتحقيق، في عالم الواقع، مادام بعض البشر يشرعون، وبعضهم الآخر، وهم أكثرية الناس، يخضعون للتشريع، ومادامت الأقلية التي تشرع لمصالحها الخاصة على حساب الآخرين^٢ راجع (أوروبا والإسلام ص ٢٣، للدكتور عبد الحليم محمود.

من خلال ما تقدم يمكن لنا أن نبرز وجه المقارنة بين "الديمقراطية المعلومة"، و "ديمقراطية الإسلام"، فالأولى: فكر وصفي وفلسفة دنيوية، صنعت لصالح فئة معينة من البشر، فهي لا تمد بصرها إلى ما هو أبعد من صلاح دنيا الإنسان بالمقاييس الدنيوية لهذا الصلاح.

على حين نجد الشورى (الديمقراطية الإسلامية) كفريضة إلهية تربط بين صلاح الدنيا وسعادة الآخرة، فتعطي الصلاح الدنيوي بعداً دينياً يتمثل في المعيار الديني لهذا الصلاح.

ولا ريب أنه قد ثبت للعالم أجمع فشل الأنظمة الديمقراطية. ولذا، فهي: تتغير باستمرار، فكلما فشل نظام، تغير إلى آخر، حسب مقتضيات العصر، وذلك دليل على النقص، وعلى العجز، فلا بد وأن تكون النتيجة عدم الثبات في كل منها، فالعولمة السياسية ستفشل كغيرها من النظريات التي سادت المجتمعات وعصر القطب الواحد سينتهي عن قرب، وتنتهي معه الشعارات البراقة.

(٢٩) الفكر الإسلامي المعاصر ٣٦ مصدر سابق

(٣٠) آل عمران ٦٤

(٣١) إن الغاية من دعوى الغربيين للحوار بين الأديان هي الحفاظ على الأديان الثلاثة السماوية ضد الزحف الأحمر الإلحادي الذي لا يعترف بإله فترتفع صيحات علماء الاستشراق والمبشرين بالحوار عندما يكون هناك خطر يهدد الأديان. فقد وجه بابا روما بولس الثالث رسالة يدعو فيها إلى الحوار بين الأديان عام ١٩٦٤م وعقب ذلك صدر كتاب عن الفاتيكان بعنوان: " دليل الحوار بين المسلمين والمسيحيين " وذلك في عام ١٩٦٩ وتوالت المؤتمرات واللقاءات في العقود الماضية حتى وصل عددها إلى ثلاثة عشر لقاءً ومؤمراً للحوار بين الأديان وكان أبرزها: المؤتمر العالمي الثاني للدين والسلام الذي عقد في بلجيكا وحضره ٤٠٠ مندوب من ديانات مختلفة. ومؤتمر قرطبة في أسبانيا، وحضره ممثلون من المسلمين والنصارى من ثلاث وعشرين دولة.

والملتقى الإسلامي المسيحي في قرطاج بتونس عام ١٩٧٩م. وفي تسعينات هذا القرن عادت الدعوى إلى الحوار مرة أخرى فعقد مؤتمر الحوار الأوربي العربي عام ١٩٩٣م في الأردن، ومؤتمر الخرطوم للحوار بين الأديان عام ١٩٩٤م ومؤتمران أحدهما في استوكهولم والآخر في عمان عام ١٩٩٥م ثم مؤتمر الإسلام وأوروبا في جامعة آل البيت في الأردن عام ١٩٩٦م للمزيد راجع عالمية الإسلام ومادية العولمة ص ٩٩-١٠٠ عاطف الزيني الشركة العالمية للكتاب طبعة أولى

(٣٢) الفكر الإسلامي والثقافات المعاصرة ص ١٧٨ الأستاذ أنور الجندي دار الاعتصام

(٣٣) المصدر السابق.

(٣٤) انظر: آثار الحرب في الفقه الإسلامي، ص ٦٣، د/ وهبه الزحيلي - الطبعة الثانية ١٣٨٥

هجرية - المكتبة الحديثة.

- (٣٥) الإسلام والعلمانية وجهها لوجه ، ص ٤١-٤٢ د يوسف القرضاوي، طبعة ثانية ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م دار الصحوة القاهرة
- (٣٦) المصدر السابق ص ٨٧.
- (٣٧) خلق المسلم ص ١٦٥ الشيخ محمد الغزالي الطبعة العاشرة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م دار الكتب الإسلامية بمصر
- (٣٨) تجديد التفكير الديني في الإسلام ص ٨، محمد إقبال ترجمة عباس محمود - القاهرة ١٩٥٥.
- (٣٩) البقرة من الآية ٨٣
- (٤٠) البقرة الآية ١٤٣
- (٤١) الخصائص العامة للإسلام ، ص ١١٧، د/ يوسف القرضاوي طبعة ثانية ١٤٠١هـ - ١٩٨١م الناشر مكتبة وهبة القاهرة.
- (٤٢) فقه الدعوة الفردية، ص ٢٣٦، د عبد الحليم محمود، طبعة أولى ١٩٩٢م، دار الوفاء بالمنصورة .
- (٤٣) هود الآية ١١٨-١١٩
- (٤٤) راجع: معالم على الطريق، ص ١١١، بتصرف سيد قطب
- (٤٥) راجع مناهج التربية الإسلامية ج ٢/ ص ٣٢٠-٣٢١ محمد قطب بيروت دار الشروق.
- (٤٦) الحديث رواه الإمام أحمد في مسنده.

